السلم والحرب في الاسلام

بقلم : محمد عبيد الكبيسي
قسم الدين / كلية الآداب

باتت حياة البشر اليوم بأمس الحاجة الى ان يقوم سلام قوي بين أهل الاديان المختلفة عموما ، وان يكون الدين ـ أي دين ـ عاملا من عوامل المحبة والاخوة بين البشر ، متجاوزا بذلك الفوارق الجاهلية، وعصبية الجنس واللون والطبقة .

وبدون ذلك فلن يظل الناس سلام ، ولن يسعدهم أمن ، ولن تسرى بينهم روح من الاخوة والتسامح .

ومن اجل هذا : بات من الضروري ان يكون هناك اعتراف متبادل بحق الحياة الشريفة لاصحاب العقائد المتباينة ، وذلك بمنح كل دين الحرية المعقولة ليبين عن نفسه ، ويذود عن معناه ، وبتأمين اتباع كل دين على اموالهم ودمائهم ، بحيث لا يقع ظلم على أي فرد بسبب المبدأ والعقيدة .

فلقد كفى الانسانية ما قاسته من شرور وويلات بدافع من اختلاف الاديان والعقائد .

ولا يزال الظلم يقع بين الناس بناء على هذه الاعتبارات التي صنعها البشر نفسه لنفسه .

ولم يكن ذلك مقتصرا على ابناء الديانات المختلفة فحسب ، بل تعداهم الى اتباع الدين الواحد عندما تضطرب افهامهم في تفسير اصوله او فروعه .

ومرجع ذلك ـ في اغلب الاحيان ـ : ليس ارضاء الله تعالى كما يتوهم الجائرون المتعصبون •

بل هو ضيق العقل ، واستحكام الهوى ، وقدرة النفس الانسانية على اتباع شهواتها ، وارتكاب مظالمها في سبيل تحقيق مصلحة فردية او جماعية :ـ

ومن العجيب ان نجد جميع الاديان السماوية تحث على هذا المبدأ ، وتوسع الطريق امام هذا المسلك ، في حين ترى ان للبشر ـ في كثير من الاحيان ـ نزعة بعيدة عن هذه الروح السامية •

ولعل من الضروري ان نبين وجهة نظر الاسلام في هذا الموضوع مسلطين بعض الاضواء على تعاليمه بهذا الشأن •

موقف الاسلام العقائدى من الاديان الاخرى :

ان من اغرب الامور ان يطالب المسلمون باثبات مبدأ التسامح في دينهم ، وان من اعجب العجائب ان يدور جدل حول سماحة الاسلام وعدم سماحته • ووجه العجب ، هو : ان هذا النوع من الجدل فيه انكار لأبرز عقيدة من عقائد الاسلام ، وطمس لأظهر مبدأ من مبادئه، وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه جميعا ، ورسله اجمعين •

فالاسلام ـ كما لايخفى على احد ـ قاسم مشترك بين الديانات كلها • لأنه يؤمن بموسى ويوقره ، ويعتبر التهجم على مكانته كفرا بالاسلام نفسه •

وهو يؤمن كذلك بعيسى ، ويكرم مولده ، وينزه نسبه ، ويرى الطعن في عفاف أمه او مكانة ابنها كفرا بقواعد الاسلام العقائدية •

والمسلمون يضمون الى ايمانهم بموسى وتوراته ، وعيسى وانجيله، ايمانا جديدا بمحمد وقرآنه •

وذلك على أساس ان النبوة الأخيرة جاءت تصديقا لما قبلها ، ومحواً للفوارق والخلافات التي مزقت شمل العالم اجمع .

وفي ذلك ينص القرآن على انه [1] :

« وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

فالاسلام اذن : هو يهودية موسى ، ومسيحة عيسى معا ، وهدايات من قبلهما من رسل الله جميعا .

ويسجل القرآن هذا المبدأ بقوله [2] :

« قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » .

ومن هنا فأن كل تصرف او تشريع ينظم شؤون غير المسلمين في بلاد الاسلام ، لايمكن الا ان يكون انطلاقا من هذه القاعدة العقائدية التي لا تقبل الشك .

وبهذا يكون الاسلام قد قال كلمته في الاديان الاخرى ، فاعتبر ان رسل الله جميعا صادقون في دعوتهم ، ويعزز بعضهم بعضا ، وهم متضامنون في تبليغ حقيقة واحدة .

فموسى يعلن انه من ابراهيم واسحق ويعقوب .

وعيسى لم يأت الا ليؤيد الرسل والشرائع السابقة .

ويقول القرآن الكريم على لسان عيسى [3] :

---

(١) سورة النمل الاية ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران ٨٤ .

(٣) سورة الصف : الآية (٦) .

« واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد • فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » • ولقد ركز القرآن على فكرة وحدة الاديان تركيزا أريد به التأكيد على وجوب قيام هذه الوحدة بين الاديان السماوية جميعا تحت لواء التوحيد •

ويعرض الاسلام دعوته لا على اساس انها دعوة محمدية مستقلة تنافس اليهودية والمسيحية وتنازعهما الحقيقة ، وانما يقرر الاسلام ان المسلم لايكون الا اذا كان يؤمن بموسى وعيسى وسائر الانبياء •

وفي هذا يقول الله تعالى [٤] :

« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » •

فالاسلام بهذا يستهدف تكوين الوحدة الدينية التي يعتبرها الاسلام نقطة البداية في اسعاد البشرية على الارض •

فوجه القرآن الكريم نداءاته المتكررة الى اليهود والنصارى من اجل اقامة هذه الوحدة •

فأمر الله رسوله بهذا الامر [٥] :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فأن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » •

---

(٤) سورة البقرة : ٢٨٥ •

(٥) سورة آل عمران : ٦٤ •

بل ان الله سبحانه وتعالى ـ يأمر المسلمين في مساعدة اليهـــود والنصارى على الاستجابة لهذا النداء الوحدوي ، وذلك بتهيأة الظروف النفسية الملائمة لهم بحسن اللقاء وحسن المعاشرة التي تغسل الشك من قلوبهم ، فيقـــول : [٦]

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلمـــوا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحـــد ونحن له مسلمون » .

فما هو دور كلمة « الاسلام » في تكوين هذه الوحدة الانسانية ؟

الاسلام : عنوان على جميع الاديان :

اذا اخذنا كلمة « الاسلام » بمعناها القرآني وجدناها لا تدع مجالا للشك في حسن العلاقة بين الاسلام وبين سائر الاديان السماوية الاخرى.

فالاسلام ـ في لغة القرآن ـ ليس اسما خاصا لدين خاص . وانما هو اسم مشترك للدين المشترك الذى هتف به كل الانبياء ، وانتسب اليه كـل اتباعهم :

هكذا رأينا نوحا يقول لقومه [٧] :

« وأمرت ان اكون من المسلمين »

ويعقوب يوصي بنيه بقوله [٨] :

« فلا تموتن الا وانتم مسلمون »

وابناء يعقوب يجيبون اباهم بقولهم [٩] :

---

(٦) سورة العنكبوت : ٤٦ .

(٧) سورة النمل : آية ٦١ .

(٨) سورة البقرة : آية ١٣٢ .

(٩) سورة آل عمران : اية ٨٤ .

« ونحن له مسلمون »

وموسى يقول لقومه [١٠] :

« يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين »

والحواريون يقولون لعيسى [١١] :

« قالوا آمنا بالله واشهد باننا مسلمون »

وفريق من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن هتفوا [١٢] :

« قالوا : آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين »

وبالجملة : نرى ان اسم «الاسلام» كان شعارا عاما يدور في القرآن على السنة الانبياء واتباعهم منذ اقدم العصور التاريخية الى عصر النبوة المحمدية.

ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها الى المسلمين ، ويبين لهم فيها : انه لم يشرع لهم دينا جديدا ، وانما هو دين الانبياء من قبلهم فيقول [١٣] :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

ثم نراه ـ بعد ان يسرد سيرة الانبياء واتباعهم ـ فيظمهم في سلك واحد ويجعل منهم جميعا امة واحدة لها اله واحد ، كما لها شريعة واحدة ، فيقول [١٤] :

« ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

---

(١٠) سورة يونس الآية ٨٤ .
(١١) سورة المائدة آية ١١١ .
(١٢) سورة القصص الآية ٥٣ .
(١٣) سورة الشورى ١٣ .
(١٤) سورة الانبياء ٩٢ .

ويفرض الاسلام هذه الوحدة الاممية على اتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول [١٥] : « قولوا آمنا بالله وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » .

فالاسلام ـ بمعناه القرآني الذي وصفناه ـ لا يصلح ان يكون محلا للسؤال عن علاقة بينه وبين سائر الاديان السماوية .

واذ لا يسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه : فههنا وحدة لا انقسام فيها. فأذا كان هذا موقف الاسلام النظري والعقائدي من الاديان الاخرى ، فما هو موقفه التطبيقي في هذا الصدد ؟

موقف الاسلام التطبيقي من الاديان الاخرى :

للاسلام في تعامله مع اهل الديانات الاخرى موقفان متغايران كل التغاير :ـ

احدهما : موقفه المؤقت الذى يجب انهاؤه او الانتهاء منه فور انتهاء مقتضياته. وهو الجانب العسكرى.

والثاني : ـ وهو الاصل ـ هو الجانب المدني الذى يجسد نظرة الاسلام الى التعامل مع غير المسلمين .

ولنلق نظرة سريعة على الجانب الاول من قبل ان نفصل القول في في الجانب الثاني . لنبين مدى حرص الاسلام على الوحدة الانسانية بين البشر ، والسلام في الارض ، والمحبة التي تعمر القلوب ، وتسعد النفوس .

---

(١٥) سورة آل عمران ٨٤ .

موقف الاسلام العسكرى :

ليس فينا من يجهل الاوضاع على الارض قبل مجيء الاسلام ، وما كانت عليه الامور من تدن لا يليق بالبشر ، وانحراف لا يحتمل في الارض ، وظلم لا يصح بين الناس .

فلقد كان الجو مهيئا لتعاليم سماوية جديدة تنقذ الناس مما هم عليه . وهذا ما كانت تتنبأ به الكتب السماوية التي سبقت القرآن نظرا لمجريات الامور .

ثم جاء الاسلام ، فتغير كل شيء بين يوم وليلة ، ولم تكن الدعوة الاسلامية مقتصرة على الواجهة السياسية والاقتصادية في المدن الكبرى فقط .

وانما تغلغلت في الاعماق النفسية للانسان ، فشملت اللغات ، والفكر ، والقانون ، والعادات ، وتصور العالم ، وفكرة الله ، وغير ذلك كثير مما طرأ عليه التغيير الجذرى السريع .

ولم يتوقف الاسلام في تأثيره عند حد اجتذاب النفوس التي آمنت به بصفة دائمة .

بل انه كان امام رسالة ينزع الى تبليغها للناس ، وهو يواجه مسؤولياته في انقاذ المظلومين من الظلم ، فأتخذ طريقه في الانتشار ، وكسب المؤمنين به كلما اتيحت له الفرصة لكي يعرض نفسه بكل نقائه وبساطته الفطرية .

ولقد حدث في فترة معينة ان القوى المعادية اخذت تصب احقادها وتصب عنفها لاضطهاد الدعوة الناشئة وتعذيب ابنائها ، مما اضطر هذه الدعوة الى الوقوف في وجه هذه القوى ، ووضع حد لهذا الظلم الذي ساد ارضيتها وقتا طويلا .

ولقد ارادت الدعوة الاسلامية ـ بادىء الامر ـ ان تتفادى الصدام ، وان تجر اعداءها الى النقاش الموضوعي الهادىء الذى يقوم على العقل والمنطق .

الا ان الجانب الاخر ابى الا ان يسلك سبيل العنف والاسلوب العسكرى .

غير ان الاسلام أصر على ان الاسلوب المطلوب للدعوة هو الاسلوب السلمي الذى يعتمد على النقاش الهادىء والجدل الحسن . فقال [١٦] :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » .

ويتحمل المسلمون ببطولة نادرة وتسامح شديد سخرية الاعداء بهم وشتمهم لهم ، فضلا عن المقاطعة والعزلة التي فرضت عليهم ووصلت بهم احيانا الى اقسى انواع التعذيب والفتنة والتنكيل .

سجل القرآن هذه الفترة العصيبة فقال [١٧] :

« من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » .

ويقول ايضا [١٨] :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فأذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله » .

وهكذا يسجل الاسلام صورا مما كان يلاقيه المسلمون الاوائل من العنت والمحنة وهم جاهدون وصادقون في مد يد السلام والصفاء للاخرين .

---

(١٦) سورة النمل : ١٢٥

(١٧) سورة النمل : ١٠٦

(١٨) سورة العنكبوت : آية ١٠

الا ان هؤلاء الاخرين كانوا ماضين في طريق العداء السافر ، متمادين في حربهم الحارة والباردة ضد المسلمين .

وهنا كان امام المسلمين طريقان . فأما ان يهاجروا ويتركوا الارض لاعدائهم تجنبا للصدام العسكرى واما ان يجابهوا القوة بالقوة والعدوان بالعدوان .

ولما كان مبدأ الدعوة السلمية لا يزال هو المشروع ، ولا يزال العنف ليس مشروعا بالنسبة لهم : فقد اختار المسلمون الطريق الاول فهاجروا .

فكانت الهجرة الاولى الى الحبشة . وكان مع المسلمين في هذه الهجرة كثير من وجوه القوم واهل النصرة الذين لم يكن يعجزهم الحرب لو اذن الله لهم فيه . الا انه لم يأذن . فكان من بين المهاجرين عثمان بن عفان ، وام حبيبة بنت ابي سفيان . هاجروا بحثا عن ملجأ أمين بالقرب من ملك الحبشة .

ويسجل القرآن الكريم هذه الصورة فيقول [١٩] :

« ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم » .

ومر كل شيء بسلام وكرامة من جانب المسلمين ، ولم يكن هناك ما ينبيء عن امكان الالتجاء الى القوة ، خاصة بعد أن أطمأن الرسول على مصير اتباعه ووصولهم الى بر الامان .

وبقى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مكان دعوته لا يستطيع ان يتركه دون اذن صريح من الوحي .

فجاءه هذا الاذن بالهجرة قبل يوم من موعد تنفيذ مؤامرة متفق عليها للقضاء على حياته ، فباءت المحاولة بالفشل ، ونجا الرسول من الموت .

---

(١٩) سورة النحل : ١١٠

ومع هذا لم يفكر بالانتقام من اعدائه • لأن رسالته تسمو على مثل هذه المشاعر الادمية التي تهز الضعفاء من الناس •

وغادر محمد مكة الى المدينة داعيا لأهل مكة بالسلام والرشـــاد ، واستمر هو في نشاطه السلمي النبيل بعيدا عن الروح العسكرية وحب الصـــدام •

وعندما رأى المسلمون ان مبدأ التسامح في الاسلام هو المبدأ السائد • افرطوا فيه ، وامعنوا في اتباعه الى حد الضعف • حتى لامهم القرآن على ذلك ونبههم الى ان التسامح ينتهي عندما يصل الامر الى حد الضـــعف والجبـــن •

ويسجل القرآن بعض اعتراضاته على نماذج من تسامح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد لامه عندما عفى عن الاسرى • فقال [٢٠] :

« ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض » •

ولامه لأنه كثير الاستغفار للمشركين ، فقال [٢١] :

« وما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانـوا أولي قربـــى » •

وبقي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عـــلى سيرته الاولى ، وعزمه الاول من محاولة التفاهم السلمي بين الناس ، وتوسل الى ذلـــك بشتى الوسائل مع شيء كثير من الحلم وضبط النفس •

ولقد روى لنا كيف كان عفوه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تجاه جرائم ارتكبت او كادت ترتكب ضد شخصه او ذويه •

ومنها : عفوه عن مبعوث قريش الذى جاء بعد بدر لاغتياله •

---

(٢٠) سورة الانفال : ٦٧ •

(٢١) سورة التوبة : ١١٣ •

ومنها : عفوه عن اليهودية التي دست له السم في الطعام • بخيبر وعن الاخرى التي دفعت ابنته زينب بعنف اثناء الهجرة وهي حامل فاجهضتها•

ومنها : عفوه عن الذين جاءوا بالافك ضد زوجته عائشة رضي الله عنهـــا (٢٢) •

ولقد كان رسول الله آخر المهاجرين عن موطن الظلم والاضطهاد ، وكأنه كان حريصا على ان لايترك احدا خلفه في هذا البلد الوثني العدو•

واستمر الاسلام على مسلكه في بث دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال المنطقي الذى يعتمد على ما في العقل من قوة الاقناع والاقتناع • الا ان أمرا قد حدث لم يكن عـــلى على الحسبان •

فقد سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوت استغاثة مـــن أناس فيهم الرجل ، وفيهم المرأة ، وفيهم الطفل الصغير قد اسلموا بمكة وهم فيها لا سند لهم يعينهم على الهجرة ، ولا حول لهم على ما هم فيـــه ، وليس هناك قوة تحميهم من الظلم الذى يقع عليهم ، والعذاب الذى يقاسونه بسبب العقيدة التي اعتنقوها عن ايمان واعتقاد واقتناع ، والتي اثمرت في قلوبهم ايمانا بالله ، وسموا عن الاصنام ، ومحبة للناس •

وكان هذا تطورا جديدا يحتاج موقفا جديدا وخطة لا تقوم عـلى الانانية وحب النفس ، وانما تقوم على مبادىء الاسلام المبنية على نصـــرة الحقيقة ، وعون الفضيلة ، ونجدة الصديق ، ومحاربة الاستبداد والظلم والاعتداء •

فلو ان محمدا تقاعس عن نصرة هؤلاء المستضعفين لكان هـــذا موقفا يوجعه التاريخ نقدا ولوما •

---

(٢٢) راجع : مدخل الى القرآن ـ عبدالله دراز ص ٥٧ •

اذن لم يكن امام المسلمين الا الاستجابة لقوله تعالى [٢٣] :

« والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ، واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

فكان محمد واصحابه هم الاولياء وهم الناصرين .

اذن : فان المسلمين اكرهوا على العنف لحماية اهليهم ، وانهم استدرجوا الى القتال وهم له كارهون وعنه راغبون .

وقد سجل القرآن هذه الحقيقة التاريخية فقال [٢٤] :

« وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا » .

وقال [٢٥] :

« وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم » .

ومن هذا فان المسلمين لم يمارسوا مع اعدائهم ـ بادىء الامر ـ ما يمكن ان يسمى حربا ، وانما لجأوا الى بعض الغارات الفدائية ، والعمليات التعرضية . كتعرضهم لبعض قوافل الاعداء ليشعروهم بقوتهم ، وان لهم قوة تؤثر في المنطقة ، فلعل ذلك يحملهم على ترك المسلمين الذين هم بينهم ، ويكفوا عن تعذيبهم وحبسهم ، والوقوف في وجه العقيدة الاسلامية .

الا ان الصراع اشتد بين الوثنية القرشية ، والتوحيد الذى جاء به محمد . ومضى الوثنيون في العداء ، وآزرتهم قوى من أهل الكتاب كان المفروض فيها والمرجو منها ان تناصر الموحدين على الوثنيين وليس العكس.

---

(٢٣) سورة النساء : ٧٥ .

(٢٤) سورة النساء : ٧٧ـ٧٨ .

(٢٥) سورة الانفال : ٧ .

وهكذا وجد الاسلام نفسه وجها لوجه امام مسؤولياته ورسالته في الارض . فكان لابد من خوض المعركة الفاصلة « ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » [٢٦] .

ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة [٢٧] .

هذه هي الظروف التي اجبرت المسلمين على أن يخوضوا الحرب دفاعا عن وجودهم . فلقد ظل المسلمون ملتزمين بالسلام ، متحلين بالصبر الجميل ما دامت الاعتداءات عليهم فردية .

بل على عكس ماكان متوقعا ، فانهم كانوا يقابلون الاساءة بالاحسان فضلا عن امتناعهم عن اى رد عنيف . فتحملوا جراحهم ببسالة . ولم يكفوا ـ مع هذا ـ عن دعوة اعدائهم سلميا الى كف اذاهم عن المسلمين.

« ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » [٢٨] .

ومع ذلك فقد استمرت محاولات الاعداء لخنق الدعوة الاسلامية ، وشنوها حربا على الاسلام عاتية ، ولم يكن يلوح منهم ما يدل على انهم قد يجدون لهم سبيلا آخر .

ويسجل القرآن الكريم هذه الحقيقة فيقول [٢٩] :

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

بعد هذا كله ، اى بعد ما يقرب من عشر سنوات من انبثاق الدعوة

---

(٢٦) سورة الانفال : ٨ .
(٢٧) سورة الانفال : ٤٢ .
(٢٨) سورة النساء : ٧٧ .
(٢٩) سورة البقرة : ٢١٧ .

الاسلامية امضاها المسلمون وهم متمسكون بالسلم والصبر : اذن للمسلمين بأن يجندوا قواهم ويدافعوا عن انفسهم • وان يقاتلوا في سبيل الله ، وان يردوا عدوهم وعدوه • فأذن لهم بأن يقابلوا العدوان بالعدوان ، والغارة بالغارة •

فجاء الاذن على هذا هذا النحو [٣٠] :

« اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » •

ولا اعتقد ان قوما شملهم الظلم وتعداهم الى اخوان لهم لا حول لهم ولا قوة : ليلامون على الدفاع عن انفسهم بعد أن استنفدوا جميع الوسائل السلمية الممكنة • بل العكس هو الصحيح ، فأن هؤلاء لو تقاعسوا بعد كل ما حل بهم ، فأن احدا لن يستغرب اذا ما وصفوا بالجبن والضعف والخور ، وعدم النخوة والشهامة •

وهذا ما يحدث اليوم في امتنا العربية ، وكأن التاريخ يعيد نفسه •

فها هي اسرائيل تنفرد بالشعب الفلسطيني الاعزل وتصب عليه احدث ما توصلت اليه العقول البشرية من اسباب الفتك والفناء ، ثم نجد ان اخوانهم العرب لا يحركون ساكنا ، وليس هناك ما يدل على أن في نيتهم أن يتحركوا بدوافع الشهامة او الكرامة •

وبذلك استحقت امتنا ما تلاقيه من ازدراء من سائر شعوب العالم على هذا الموقف المتخاذل • معنى هذا ان الاذن بالقتال كان ضرورة تمليها الكرامة والحق المشروع •

فها قد أصبح مبدأ القتال في الاسلام مشروعا • ولكن هل ان هذا الاذن كان مطلقا ام انه مقيد بقيود تجعله قتالا شرعيا وليس قتالا عدوانيا ؟ •

---

(٣٠) سورة الحج : ٣٩ •

الحقيقة : ان مبدأ القتال لم يؤذن به مطلقا من القيود وانما يقوم على أسس صارمة • لا يصح ان يلجأ اليه بدونها على الاطلاق •

والمبادىء التي التي يسمح بموجبها للمسلمين بالقتال ثلاثة :ـ

المبـدأ الاول :

ان القتـــال المشروع هو الذى يكون دفاعا عن النفس فقط ، فأن لم يكن هناك خطرا فلا سبيل لأحـد على أحـــد •

والدليل على هذا المبدأ هو : ان الله اذن بالقتال لاولئك الذين يقاتلون• اما الذين لا يقع عليهم القتال فلا اذن لهم •

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا •••• » (٣١) •

« وقاتلو في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحـب المعتـــدين » (٣٢) •

« فأن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (٣٣) •

« فأن انتهوا فأن الله غفور رحيم » (٣٤) •

« ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها ، فأن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم وأقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » (٣٥) •

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله

---

(٣١) سورة الحج : آية ٣٩ •
(٣٢) سورة البقرة : ١٩٠ •
(٣٣) سورة البقرة : ١٩٢ •
(٣٤) سورة البقرة : ١٩٣ •
(٣٥) سورة النساء : ٩٠ـ٩١ •

عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » [٣٦] .

ولم يتخل الاسلام عن هذا المبدأ في الحرب ، حتى في احلك الساعات التي مر بها ، وفي اقسى الظروف التي يتوقف عليها بقاؤه .

ففي سورة التوبة التي هي اشد السور عنفا وشدة على الاعداء من الكفار والمنافقين والمترددين في القتال ، والتي تبدأ باعلان قطع جميع العلاقات بالمشركين ، فأن المبدأ العام لايزال هو المسيطر في الاقتصار على محاربة من يبدأ الحرب على المسلمين . اما من اخلد الى السلم او ابقى على عهده ولم ينقضه ، فأن القرآن يحذر من حربه .

ويسجل القرآن هذا القيد بقوله [٣٧] :

« الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا ، فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » .

المبدأ الثاني :

ان الحرب في الاسلام لايجوز اعلانها على احد الا اذا بدأ العدو هذه الحرب . وعلى هذا فلا يجوز للمقاتلين المسلمين ان يبدأوا باعلان الحرب على احد . وانما عليهم ان يكون قتالهم ردا على من بدأ به

ويسجل القرآن هذا المبدأ بقوله [٣٨] :

« الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة ، اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين » .

وحينئذ يحق للمسلمين ان يقاتلوا اعداءهم كافة اذا شنوا عليهم الحرب كافة .

---

(٣٦) سورة الممتحنة : ٨ـ٩ .

(٣٧) سورة الممتحنة : ٤ .

(٣٨) سورة التوبة : ١٣ .

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا ان الله مع المتقـــين »[٣٩] .

فالمسؤولية اذن هي على عاتق البادىء بالحرب ، وهو يتحمل تبعة هذه المسؤولية وحده ، ولا يسأل عنها سواه من اهله وذويه ، لان المقصود من قوله تعالى : « وقاتلوا المشركين » وقوله : « قاتلوا الذين يقاتلونكم » هم الذين يقاتلون مباشرة بحمل السلاح .

اما ما عداهم : فلا مسؤولية عليهم . ولقد حددت السنة هذا الامر تحديدا صارما حين نهت عن التعرض للنساء والاولاد والشيوخ والعميان والعجزة والمجانين والمزارعين في حقولهم ، والمتعبدين في صوامعهم .

المبـدأ الثالث :

قيد الاســـلام مشروعية القتال بحالة استمرار العدو عليه فأن اقلع العدو وعن القتال واخلد الى السلم فلا يجوز للمسلمين ان يستمروا في القتـــال .

ونص القرآن بصرامة وبصراحة على هذا المبـــدأ فيقول[٤٠] :

« فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين » .

ويقـــول[٤١] :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وقد ذهب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى ابعد الحدود في المحافظة على السلام قدر الامكان حين منع ملاحقة العدو الهارب من ارض المعركة.

وهذا مبدأ من اسمى المبادىء الانسانية التي لا تجد لها مثيلا في اى

---

(٣٩) سورة التوبة : ٣٦ .
(٤٠) سورة التوبة : آية ٧ .
(٤١) سورة الانفال : آية ٦١ .

نظام عسكرى في العالم • بل على لعكس • فأن الجيوش في العالم القديم والحديث تعتبر ان انسحاب الجيوش من ارض المعركة او هروبها منهـــا فرصة ثمينة للانقضاض عليها والاجهاز على جموعها والقضاء عليها كليا • أما في الاسلام فأنك لاتجد الا القتال قدر الضرورة وفي حالات الدفاع عـــن النفس فقط •

بل أن القرآن يمعن في رعاية أهل الديانات الاخرى حتى في حالة انعدام اى نوع من انواع المعاهدات او المواثيق بينهم وبين المسلمين •

« وفي ذلك يتحدث القرآن الكريم فيقول [٤٢] :

« وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغـــه مأمنـــه » •

والاسلام في كل هذا لايريد الا العيش بسلام في الاماكن التي يرى اهلها الاسلام مناسبا لهم فيتبعوه •

نتائج الموقف العقائدي من القتال :

مما تقدم من مبادىء القتال في الاسلام نخلص الى حقيقتين لا تقبلان النقاش والجـــدل •

الحقيقة الاولى : ان الاسلام ، وهو يحاول مد جسور المحبة والسلام بينه وبين الاديان الاخرى يعلن بجلاء انه لا يريد فرض ايديولوجيـــة عالمية • وانما هو يحاول فقط ان يحصل على حقه في العيش شأنه في ذلك شأن بقية الاديان ، فأن حصل له ذلك فالناس احرار في ما يعتقدون ومـــا يدينون به • ولذلك نراه ينص على ذلك فيقول [٤٣] •

« ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس

---

(٤٢) سورة التوبة : ٦ •

(٤٣) سورة يونس : ٩٩ •

حتـــى يكونوا مؤمنين » •

ويقـــــول [٤٤] :

« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » •

ويقـــول [٤٥] :

« وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » •

اذن فأن الاسلام في حروبه لايبغي الا قهر السيطرة على الغير ، ومنح الجميع الفرص المناسبة والحرية الكافية لعرض معتقداته ومبادئه على الناس•

فيقـــول [٤٦] :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذيـن لايريدون علوا في الارض ولا فســـادا » •

فالاسلام حريص على ان يكون للانسان اختيار يسمو بانسانيته عن بقية المخلوقات • لان الاكراه لا يليق بمن منحهم الله العقل والارادة •

« لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » [٤٧] •

هذا كله لمن يحسن مراعاة حقوق غيره ، وينطلق في معاملتهم منطلقا انسانيا يقوم على الاحترام المتبادل •

وفي غير ذلك : فأن المعاملة بالمثل هـــي أقل ما يجب في حق المعتدى المتطفـــــل •

فالاسلام ـ حينئذ ـ على سمته من التمسك بالكرامة والعدل والحزم•

---

(٤٤) سورة يونس : ٩٩ •

(٤٥) سورة هود : ١١٨ـ١١٩ •

(٤٦) سورة القصص : ٨٣ •

(٤٧) سورة البقرة : ٢٥٦ •

حتـــى يكونوا مؤمنين » •

ويقـــــول [٤٤] :

« ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ، ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » •

ويقـــول [٤٥] :

« وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » •

اذن فأن الاسلام في حروبه لايبغي الا قهر السيطرة على الغير ، ومنح الجميع الفرص المناسبة والحرية الكافية لعرض معتقداته ومبادئه على الناس•

فيقـــول [٤٦] :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذيـن لايريدون علوا في الارض ولا فســـادا » •

فالاسلام حريص على ان يكون للانسان اختيار يسمو بانسانيته عن بقية المخلوقات • لان الاكراه لا يليق بمن منحهم الله العقل والارادة •

« لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » [٤٧] •

هذا كله لمن يحسن مراعاة حقوق غيره ، وينطلق في معاملتهم منطلقا انسانيا يقوم على الاحترام المتبادل •

وفي غير ذلك : فأن المعاملة بالمثل هـــي أقل ما يجب في حق المعتدى المتطفـــــل •

فالاسلام ـ حينئذ ـ على سمته من التمسك بالكرامة والعدل والحزم•

---

(٤٤) سورة يونس : ٩٩ •

(٤٥) سورة هود : ١١٨ـ١١٩ •

(٤٦) سورة القصص : ٨٣ •

(٤٧) سورة البقرة : ٢٥٦ •

وهو لا يملك الا ان يقف بشدة في وجه من يعترض طريق الحرية ، ويعرض الناس للفتنـــة .

وهذا هو مدلول قوله تعالى [٤٨] :

« والفتنة اكبر من القتل ، ولا يزالون حتى يردوكم عن دينكم ان اســـتطاعوا » .

هذا هو الاساس لحالة القتال في الاسلام ، لا مبادأة ، لا اعتداء ، لا استمرار عند اخلاد العدو الى رمي السلاح .

فالقتال في الاسلام انما هو حالة استثنائية لا يلجأ اليها عند الضرورة ـ وعندما يكون المسلمون في حالة دفاع شرعي عن النفس وعن البقاء .

اما اسلوب الاســـلام الرئيس في بث دعوته ، واجتـــذاب الوثنيين والمشركين الى حضيرته : فهو الجهـــاد .

والجهاد في الاسلام اساس للدعوة ، ومقياس للمسلم ، وجهـــد للفرد ، وهو لا يعني القتال وحده كما قد يتوهم الكثيرون .

وانما هو بذل الجهد في النفس بالمشقة ، وفي المال بالبـــذل ، وفي اللسان بالكلمة ، وفي الرزق بالعطاء والبذل بالصدقة ، وفي السيرة بالقدوة الحسنة . وفي ذلك يقول القرآن [٤٩] .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم » .

ويقـــول [٥٠] :

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـــر » .

---

(٤٨) سورة البقرة : ٢١٧ .

(٤٩) سورة النحل : ١٢٥ .

(٥٠) سورة آل عمران : ١٠٤ .

ويقـــول [٥١] :

« وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

ويقـــول [٥٢] :

« ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء » .

ويقـــول [٥٣] :

« يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ظل اذا اهتديتم » .

ولعل من المفيد هنا ان استشهد بشهادة بعض الباحثين في حقل التاريخ الاسلامي ، وهي تصدر من غير المسلمين تدل على الحياد والنظـــرة الموضوعيـــة .

والمثال على ذلك ما قاله « جوتييه » في كتابه : « اخـــلاق المسلمين وعاداتهم » حين قال :

« لم يحدث قط ان عربيا وهو في أوج حماسه لدينه الجديد فكر في ان يطفيء بالدم المسفوك عقيدة دينية اخـــرى » [٥٤] .

ويقـــول ايضا :

« لم يحدث قط ان زاول الخليفة اي اضطهاد تجاه النصـــارى او تجـــاه الزنادقـــة » [٥٥] .

فعندما يسمو الباحث بعقله الى المكانة العلمية الموضوعية ، وعندمـــا يربأ القارىء بنفسه عن العصبية الرخيصة ، فأنه يدرك بما لا لبس فيـــه ولا تكلف : ان الاسلام هو دين السلام والتسامح بحق ، وان ما جـــاء

---

(٥١) سورة العصر : ٣ .

(٥٢) سورة البقرة : ٢٧٢ .

(٥٣) سورة المائدة : ١٠٥ .

(٥٤) انظر : ص ٢٠٧ .

(٥٥) انظر : ص ٢٠٨ .

في القرآن الكريم من آيات الحرب والقتال انما هي واردة في مجال الدفاع عن النفس دائما • والمعاملة بالمثل غالبا وفي كل عصر من العصور وفي كل مجتمع من المجتمعات يحق لكل جماعة او دولة ان تحافظ على حدودها ووجودها وان تذود عن كرامتها وعزتها بالوسائل التي تراها مناسبة •

ومن ذلك : حظر التعاون مع العدو ، وعدم افساح المجال للتعامل معه ما دام والغا في حالة العداء والمناوأة والمناورة •

وهذا ما حصل بالنسبة للمسلمين • و

فلقد نزلت بعض الآيات في سبيل تطهير المجتمع الاسلامي من فوضى المنافقين والاعيبهم ، ومن مؤامرة الاعداء المندسين في المجتمع الاسلامي عيونا وجواسيس للعدو لمساعدة بعض اليهود والنصارى الذين كانوا قد اعلنوا على الاسلام حربا شعواء لا هوادة فيها ، وفرضوا عليه حالة من القتال كانت بالنسبة له بمثابة تقرير المصير ، فأما الى حياة واما الى موت •

فجاء قوله تعالى [٥٦] :

« لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » •

والمقصود باليهود والنصارى الذين نهى الاسلام عن اتخاذهم اولياء : هم جماعة يحاربون الاسلام فعلا ، وقد بلغوا في حربهم منزلة من القوة جعلت ضعاف الايمان والمنافقين يفكرون في التحبب اليهم والتودد الى زعمائهم في محاولة لتأمين خط الرجعة في حالة انتصارهم على الاسلام فنزلت هذه الآية ، ونزل معها ما يفضح اولئك المنافقين •

« فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين » [٥٧] •

---

(٥٦) سورة المائدة : آية ٥١ •

(٥٧) سورة المائدة : الآية ٥٦ •

ثم تستطرد الآيات في فضح هؤلاء النفر من المنافقين ، وتحذير المسلمين من شرورهم وتدعوهم الى رص صفوفهم في وجه هذه الفئات المخربة .

فيقول القرآن [٥٨] :

« يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين . واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا » .

فهل يؤخذ على هذا الدين ان حمى اصحابه من السخرية والاستهزاء، وانه كشف اساليب هؤلاء العابثين بتعاليمه ، المعنين في الكيد له ، والتربص به في كل دائرة ؟ .

ومع هذا فأن الاسلام لا يلجأ الى القتال لمجرد توفر النية عليه عند الاعداء . بل لابد من أن يباشروا فعلا ، اما في غير هذا الوضع فأن الاسلام يحث المسلمين على العفو والصفح والتسامح .

فيقول القرآن [٥٩] :

« ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير » .

بل ان بعض اليهود قد قاموا فعلا باعمال تخريبية في محاولة لبث الشقاق بين المسلمين مستغلين الحرب بين الاوس والخزرج ـ يوم بعاث ـ حتى اوشكت حيلتهم ان تجر المسلمين الى حرب اهلية بينهم . ومع ذلك لم يتخذ الرسول اجراءا حربيا ضد اليهود ، وما ذلك الا لان عمل اليهود

---

(٥٨) سورة المائدة : الآية ٦١ .

(٥٩) سورة البقرة : آية ١١٠ .

ذاك لم يتخذ طابعا عسكريا صريحا ، فبقي الاسلام على مبدأه في حفظ السلام .

وكل ما حصل هو : ان القرآن حذر من مثل هذه الاساليب الخطرة. فيقول القرآن (٦٠) :

« يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

اما في احوال السلم ، وعندما يكف غير المسلمين يدهم عن الاسلام فأن الامر جد مختلف ، وحينئذ سيبهرك تسامح الاسلام تجاه جميع العقائد والاديان ، وخاصة النصارى منهم الذين ظل الاسلام حريصا على كسب ودهم ، والتعايش معهم ، ومد جسور التفاهم بينهم .

الحقيقة الثانية :

ان الاسلام عندما اضطر الى الاصطدام عسكريا مع بعض اصحاب العقائد والاديان الاخرى ، فأنه لم يحاربهم انطلاقا من كونه دينا ، بل انطلاقا من كونه دولة . ومن هنا فأنه لم يغلق ابواب الكنيسة ، ولم يمنع احدا من النصارى من دخولها ، ولم يضطهد نصرانيا او يهوديا من اجل دينه . كل مافي الامر انه اراد ان يكون للدولة سلطانها الادارى فقط ، وكف اذاهم عن غيرهم وايقاف العدوان عليهم . وفيما عدا ذلك : فأنه أقر بحرية العقل والضمير ، فكان النصارى واليهود يعبدون الله من وجهة نظر اديانهم وهم لا يخشون ظلما ولا عنتا .

ثم كيف نوفق بين امتداح الاسلام للدين اليهودى والدين المسيحي ،

---

(٦٠) سورة ال عمران : آية ١٠١ .

وبين القول القائل : ان الاسلام ربما كان يبغي القضاء عليهما •

ففي مدح اليهودية يقول القرآن الكريم [٦١] :

« انما انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا •• الخ» •

وفي مدح المسيحية يقول القرآن [٦٢] :

« وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظـــة للمتقين » •

فكيف يمكن ان نتصور ان الاسلام يريد القضاء على هذين الدينين مع كونه يقرر في حقهما هذه العقيدة الاسلامية مـن التكـــريم ووجـــوب الاحترام ، وفرض الايمان ، حتى أن عمر بن الخطاب عندما استلم بيـــت المقدس وزار كنيستها التاريخية وادركه وقت الصلاة رفض ان يصلي في الكنيسة بناء على دعوة رهبانها • وانما صلى في مكان مجاور هو اليوم جامع يعرف باسمه • وما ذاك الا زيادة في حذر أمير المؤمنين من أن يتخـــذه المسلمون قدوة فيقتحموا الكنيسة للصلاة فيها •

وعندما سار جيش اسامة بن زيد الى الروم بعد ان قاموا باعتداءات متكررة ، وبعد ان قتلوا « يوحنا بن رؤية » أمير « أيلة » ثم صلبوه أمـــام أهل قريته لانه رضي بعقد صلح مع المسلمين اضافة الى اعمال حربيـــة اخرى شنوها على بعض من دخل في الاسلام او تقرب اليه • بعد هذا كلـه يأتي الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، فيوصي هذا الجيش بقـــوله :ـ

---

(٦١) سورة المائدة : آية ٤٤ •

(٦٢) سورة المائدة : آية ٤٦ •

« لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا طفلا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تفرقوا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل .

واذا مررتم بقوم فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ..... » .

ولقد سار المسلمون بعد ذلك على هذا المبدأ العادل في معاملة أهل الاديان الاخرى ، فلم يفرقو بين مسلم وذمي او معاهد في حق ولا معاملة .

وروى يحيى بن آدم في كتاب الخراج : ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه لما تدانى اجله اوصى من بعده ـ وهو على فراش الموت ـ بقوله :

« أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا ، وان يوفي لهم بعهدهم ، وان يقاتل من ورائهم ، والا يكلفهم فوق طاقتهم » .

ولقد كانت سماحة الحكام المسلمين ـ في أوج سيطرتهم على الدنيا ـ منطلقة من مبدأ الحرية الكاملة ، والمساواة الكاملة بين افراد الرعية في الدولة لا فرق بين مسلم وغيره حتى كانت المناصب الوزارية وغيرها من الوظائف الادارية مباحة لغير المسلمين ايضا .

فلقد ولى ابن الفرات امارة الجيش الى احد المسيحيين واحتج على ذلك بصنيع الخلفاء السابقين .

وفي سنة ٣٨٧هـ / ٩٧٧م آلت الرئاسة في بلدة « دقوما » الى اثنين من النصارى . واستوزر المعز لدين الله : « عيسى بن نسطور » النصراني ، واستناب بالشام « منشة » اليهودى .

وفي سنة ٥٢٩ استوزر الحافظ لدين الله مسيحيا يدعى « بهرام » وكان يلقب « بتاج الدولة » .

وفي كتاب الاخبار النصرانية شهادة بحسن معاملة المسلمين للمسيحيين• وهي شهادة البطريرك : « عيشو يابه » الذى تولى منصبه سنة ٦٤٧ ـ ٦٥٧م حيث كتب يقول :

« ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون ، انهم ليسوا باعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قديسينا وقسيسينا ، ويمدون يد المعونة الى كنائسنا واديرتنا » •

ولقد فات هذا الكاتب ان يعلم : ان المسلمين ليسوا مخيرين في هذه المعاملة ، وانما هم مأمورون بحكم عقيدتهم بذلك ، وفيما سواه فانهم يخرجون عن الاسلام •

وهذا هو السر في انك لا تستطيع ان تجد كلمة واحدة كتبت او قيلت فيها طعن او استخفاف بالنصرانية او اليهودية • لان ذلك لو حصل لكان كفرا بالاسلام نفسه يستحق قائلها او كاتبها القتل مالم يتب •

وبهذا يكون الاسلام أزكى شاهد على صحة الاديان السابقة وشرعيتها ووجوب احترامها •

ومن هنا يستبعد جدا ان يقال : الاسلام كان يرمي من حروبه الى فرض ايديولوجية عالمية بالقضاء على الاديان السابقة •

ومن هنا كرر الاسلام نداءاته الى اهل الاديان الاخرى من اجل تشكيل جبهة متراصة وراء مبدأ التوحيد تقف صلبة في وجه الوثنة والهمجية والتخلف العقلي الذى يدفع صاحبه الى عبادة حجر أو شجر أو شخص•

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا ان لا نعبد الا الله ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباباً من دون الله » •

هذا هو مبدأ السلم في الاسلام : قاعدة عامة •

وهذا هو مبدأ الحرب في الاسلام : استثناء طارىء •

فالقول بأن الاسلام قام بقوة السيف انما هو قول ناتج عن واحد من سببين •

الاول : هو الجهل ـ وهو أمر قبيح •

والثاني : هو التعصب • وهو أمر معيب •

والله ولي التوفيق •••